وقال آخر، وأحسن ما شاء[٢] [٣]:

ذَهَبَ الرِّجَالُ وحال دُونَ مجَالهِمْ زُمَـرٌ مِـنَ الأوْبَـاشِ وَالأَنـذَالِ
زَعَمُـوا بـأَنّهُمُ عَـلَى آثَـارِهِمْ سَـارُوا ولكِـنْ سِـيَرَةَ البَطّـالِ

---

(٢) «وأحسن ما شاء» ساقطة من م.

(٣) القصيدة للمؤلف، كما يظهر من أسلوبها وموضوعاتها.

لَبِسُوا الدُّلُوقَ مُرقَّعًا وَتَقَشَّفُوا ... كَتَقَشُّفِ الأَقْطَابِ وَالأَبْدَالِ

قَطَعُوا طَرِيقَ السَّالِكِينَ وَغَوَّرُوا ... سُبُلَ الْهُدَى بجَهَالَةٍ وَضَلالِ

عَمَرُوا ظَوَاهِرَهُمْ بِأَثْوَابِ التُّقَى ... وَحَشَوْا بَوَاطِنَهُمْ مِنَ الأَدْغَالِ

إِنْ قُلْتَ قَالَ اللهُ قَالَ رَسُولُهُ ... هَمَزُوكَ هَمْزَ المُنْكِرِ المُتَعَالي

أَوْ قُلْتَ قَدْ قَالَ الصَّحَابَةُ والأُلى ... تَبِعُوهُمُ في القَوْلِ وَالأَعْمَالِ

أَوْ قُلْتَ قَالَ الآلُ آلُ المُصْطَفى ... صَلّى عَليهِ اللهُ أَفْضَلُ آلِ

أَوْ قُلْتَ قَالَ الشّافِعِيُّ وأَحْمَدٌ ... وأَبو حَنِيفَةَ وَالإِمَامُ العَالي

[٦٦أ] أَوْ قُلْتَ قَالَ صِحَابُهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ ... فَالكُلُّ عِنْدَهُمُ كَشِبْهِ خَيَالِ

وَيَقُولُ قَلْبِي قَالَ لي عَنْ سِرِّهِ ... عَنْ سِرِّ سرِّي عَنْ صَفَا أَحْوَالي

عَنْ حَضْرَتي عَنِ فِكْرَتي عَنْ خَلْوَتي ... عَنْ شَاهِدِي عَنْ وَارِدِي عَنْ حَالي

عَنْ صَفْوِ وَقْتي عَنْ حَقِيقَةِ مَشهدي ... عَنْ سِرِّ ذاتي عَنْ صِفَاتِ فِعَالي

دَعْوَى إِذَا حقَّقْتَهَا أَلْفَيْتَهَا ... أَلْقَابَ زُورٍ لُفِّقَتْ بِمُحالِ

تَركُوا الحَقَائِقَ وَالشّرائِعَ وَاقْتَدَوْا ... بِظَوَاهِرِ الجُهَّالِ وَالضُّلالِ

جَعَلُوا المِرا فَتْحًا وألْفَاظَ الخطا ... شَطْحًا وَصَالُوا صَوْلَةَ الإِدْلال

نَبَذُوا كِتَابَ الله خَلْفَ ظُهُورِهِم ... نَبْذَ المُسَافِرِ فَضْلَةَ الأَكّالِ

جَعَلُوا السَّماعَ مَطِيّة لهَوَاهُمُ ... وغَلَوْا فَقَالُوا فيهِ كُلَّ مُحَالِ

هُوَ طَاعَةٌ هُوَ قُرْبةٌ هُوَ سُنةٌ ... صَدَقُوا لِذَاكَ الشَّيْخِ ذِي الإضلالِ

شَيْخٌ قَدِيمٌ صَادَهُمْ بَتَحَيُّلٍ ... حَتَّى أَجَابُوا دَعوةَ المُحْتَالِ

هَجَرُوا لَهُ القُرْآنَ وَالأَخْبَارَ وَالـ ... آثَارَ إِذْ شَهِدَتْ لهُمْ بِضَلالِ

وَرَأَوْا سَمَاعَ الشِّعْرِ أَنْفَعَ للفَتى ... مِنْ أَوْجُهٍ سَبْعٍ لهُمْ بِتَوالي

تَاللهِ مَا ظَفِرَ العَدُوُّ بِمِثْلِهَا ... مِنْ مِثْلِهِمْ وَاخَيْبَةَ الآمَالِ

نَصَبَ الحِبَال لهُمْ فَلمْ يَقَعُوا بِهَا ... فأَتى بِذَا الشّرَكِ المُحِيطِ العالي
فإذا بِهِمْ وَسَطَ العَرِينِ مُمَزَّقي الْـ ... أَثْوابِ والأَذْيَانِ والأَحْوَالِ
لا يَسْمَعُونَ سِوَى الذي يَهْوَونهُ ... شُغْلاً بِهِ عنْ سائرِ الأَشْغَالِ
ودُعُوا إِلى ذاتِ الْيَمينِ فأَعْرَضُوا ... عَنْهَا وسَارَ القَوْمُ ذاتَ شِمَالِ
خَرُّوا عَلَى القُرْآنِ عِنْدَ سَمَاعه ... صُمًّا وعُمياناً ذَوِي إِهمَالِ
وإِذَا تلاَ القَارِي عَلَيْهِمْ سُورَةً ... فأَطَالهَا عَدُّوهُ في الأَثْقَالِ
وَيَقُولُ قَائِلُهُمْ أَطَلتَ، وَلَيسَ ذَا ... عَشْرًا، فَخَفِّفْ أَنْتَ ذُو إِمْلالِ
هذَا وَكَمْ لَغْوٍ وَكم صَخَبٍ وَكَمْ ... ضَحِكٍ بِلاَ أَدَبٍ وَلا إِجْمَالِ
حَتَّى إِذَا قَامَ السَّماعُ لَدَيْهِمُ ... خَشَعَتْ لهُ الأَصْواتُ بالإِجْلالِ
وَامْتَدَّتِ الأَعْنَاقُ تَسْمعُ وَحْيَ ذَا ... كَ الشّيخِ مِنْ مُتَرَنِّمٍ قَوَّالِ
وَتحَرَّكَتْ تِلكَ الرُّؤوسُ وهَزَّهَا ... طَرَبٌ وأَشْوَاقٌ لِنَيْلِ وِصَالِ
فَهُنَالِكَ الأَشْوَاقُ وَالأَشْجَانُ والْـ ... أَحوَالُ لا أهلاً بِذِي الأَحوَالِ
تَاللهِ لو كانوا صُحاةً أَبْصَرُوا ... مَاذا دَهَاهُمْ مِنْ قَبِيحِ فِعَالِ
لَكِنَّمَا سُكْرُ السَّمَاعِ أَشَدُّ مِنْ ... سُكرِ المُدامِ وذَا بِلَا إِشْكَالِ
فإذا هُمَا اجتمعَا لِنَفْسٍ مَرَّةً ... نَالَتْ مِنَ الخُسْرَانِ كُلَّ مَنَالِ

[٦٦ب] يَا أُمَّةً لَعبتْ بِدِينِ نَبِيِّهَا ... كَتَلاعُبِ الصِّبْيَانِ في الأَوْحَالِ
أَشْمتُّمُ أَهْلَ الكتابِ بدينكمْ ... والله لن يَرضَوا بذي الأفعالِ
كم ذا نُغَيَّر منهمُ بفريقكم ... سِرًّا وجهرًا عندَ كل جدالِ
قالوا لنا دينٌ عبادةُ أهله ... هذا السَّماع، فذاك دينُ محالِ
بل لا تجيءُ شريعةٌ بجوازه ... فسَلُوا الشَّرائع تكتفُوا بسؤالِ
لو قُلتمُ فِسقٌ ومعصيةٌ وتزْ ... يينٌ مِن الشيطان للأنذالِ

لِيَصُدَّ عَنْ وحْيِ الإلَهِ ودِينِهِ ... وينَالَ فيهِ حِيلَةَ المحتَالِ

كُنَّا شَهِدنا أنَّ ذا دِينٌ أتَى ... بالحقِّ دينُ الرُّسلِ لا بضلالِ

واللهِ مِنهُم قَدْ سمعنا ذَا إلى الْـ ... آذانِ مِنْ أفوَاهِهِمْ بمَقَالِ

وَتمَامُ ذَاكَ الْقَوْلِ بالحِيَلِ التي ... فَسَخَتْ عقُودَ الدينِ فَسْخَ فِصَالِ

جَعَلَتْه كالثَّوْبِ المُهَلْهَلِ نَسْجُهُ[1] ... فِيهِ تُفَصَّلُهُ مِنْ الأوصَالِ

مَا شئت مِنْ مَكْرٍ وَمِنْ خِدَعٍ وَمنْ ... حِيَلٍ وَتَلْبِيسٍ بِلاَ إقلالِ[2]

فَاحْتَلْ عَلَى إسْقَاطِ كُلِّ فَرِيضةٍ ... وَعَلَى حَرَامِ اللهِ بِالإحْلالِ

واحتَلْ عَلَى المَظْلُومِ يُقْلَبُ ظالمًا ... وَعَلَى الظَّلومِ بِضدِّ تِلكَ الحَالِ

وَاقلِبْ وَحَوِّلْ فَالتَّحَيُّلُ كُلُّهُ ... في الْقَلْبِ وَالتَّحْوِيلُ ذُو إعمالِ

إنْ كُنْتَ تَفْهَمُ ذَا ظَفِرْتَ بِكُلِّ مَا ... تَبْغِي مِنَ الأفْعَالِ وَالأَقْوَالِ

فاحتَلْ على شُربِ المُدام وسَمِّها ... غيرَ اسْمِها واللفظُ ذو إجمالِ

وَاحْتَلْ عَلَى أكْلِ الربَا واهْجُرْ شَنا ... عَةَ لَفْظِهِ وَاحْتَلْ عَلَى الإبْدالِ[3]

وَاحْتَلْ عَلَى الْوَطْءِ الحَرَامِ وَلا تَقُلْ ... هَذَا زِنًى وَانْكِحْ رَخِيَّ البَالِ

وَاحْتَلْ عَلَى حَلِّ العقُودِ وفَسْخِهَا ... بَعْدَ اللزُومِ وَذَاكَ ذُو إشْكَالِ

إلا عَلَى المُحْتَالِ فَهْوَ طَبِيبُهَا ... يَا مِحْنَةَ الأَدْيَانِ بالمُحْتَالِ

وَاحْتَلْ عَلَى نَقْضِ الْوُقُوفِ وَعَوْدِهَا ... طِلْقًا ولا تَسْتَحْيِ مِنْ إبطَالِ

فَكِّرْ وقَدِّرْ ثُمَّ فَصِّلْ بَعدَ ذَا ... فإذَا غُلِبْتَ فَلِجَّ في الإشْكالِ

واحتَلْ على الميراث فانزعْه من الْـ ... ـوُرَّاث ثم ابْلَغْ جَمِيعَ المَالِ

قد أثبتوا نسبًا وحَصْرًا فيكم ... حتى تحُوزوا الإرث للأموالِ

---

(١) الأصل وبقية النسخ: «فضحه»، م: «نفحة». ولعل المثبت هو الصواب.

(٢) م: «إملال».

(٣) الأصل: «الأنذال». والمثبت من بقية النسخ.

واعْمِدْ إلى تلك الشهادةِ واجعلِ الْـ ... إبطـالَ همَّـك تحْـظَ بالإبطـالِ
فالحـصر إثبـاتٌ ونفـيٌ غـيرُ مَعْـ ... ـلـومٍ وهـذا موضـعُ الإشـكالِ
واحْتَـلْ عَـلَى مَـالِ اليَتِـيمِ فإنـهُ ... رِزْقٌ هَنِـيٌّ مِـنْ ضَـعِيفِ الحـالِ
لا سَـوْطَهُ تَخْـشَى وَلا مِـنْ سَـيْفه ... والقَـولُ قولُـكَ في نَفَـاذِ المـالِ
[٦٧أ] وَاحْتَلْ عَلَى أَكْلِ الوُقُوفِ فإنهَا ... مِثْـلُ الـسَّوَائِبِ رَبّـةِ الإهمـالِ
فَـأَبُو حَنِيفَـةَ عِنْـدَهُ هـي بَاطِـلٌ ... في الأَصَـلِ لَمْ تَـحْتَجْ إلى إبْطَـالِ
فالمَـالُ مَـالٌ ضَـائِعٌ أَرْبابُـهُ ... هَلَكُـوا فَخُـذْ مِنْـهُ بِـلا مِكْيَـالِ
وإذَا تَـصِحُّ بحُكْـمِ قـاضٍ عَـادِلٍ ... فَشُرُوطُهَا صَارَتْ إلى اضْـمِحْلاَلِ
قد عَطّلَ النَّاسُ الشُّرُوطَ وَأَهْملوا ... مَقْـصُودَهَا فَالكُـلُّ في إهْمـالِ
وَتمَـامُ ذَاكَ قُـضَاتُنَا وشُـهُودُنا ... فَاسْـأَلْ بهِـمْ ذَا خِـبْرَةٍ بالحَـالِ
أمَّا الـشُّهودُ فَهُـمْ عُـدُولٌ عـن طريـ ... ـقِ العَـدْلِ في الأَقـوَالِ والأفعـالِ
زُورًا وتتمـيمًا وكِتْمَانًـا وَتَلْـ ... بيـسًا وَإِسْرَافًـا بِأَخْـذِ نَـوَالِ
يَنْـسَى شَـهَادَتَهُ وَيحْلِـفُ أنـهُ ... نـاسٍ لهَـا والقَلْـبُ ذو إغْفـالِ
فـإِذَا رَأَى المنقُـوشَ قـال ذَكَرْتُهَـا ... يَـا لَلمُـذَكِّرِ جِئْـتَ بالآمـالِ
ويقُـول قَـائِلُهُمْ أَخـوضُ النَّـارَ في ... نَـزْرٍ يَـسِيرٍ ذاكَ عَـيْنُ خَبَـالِ
ثَقِـلْ ليَ الميـزَانَ إنِّي خَـائِضٌ ... لِلمَنْكِبَـيْنِ أُجَـرُّ بـالأغْلالِ
أَمَّـا القُـضَاةُ فَقَـدْ تَـوَاتَرَ عَـنْهُمُ ... مَـا قَـدْ سَـمِعْتَ فَـلا تَفُـهْ بمَقَـالِ
مـاذا تقـول لمـن يقـول حكمتُ أنـ ... ـك فاسـقٌ أو كـافرٌ في الحـالِ
فإِذَا اسْـتَغَثْتَ أُغِثْـتَ بالجَلْـدِ الـذي ... قَـدْ طَرَّقُـوهُ كَمِثْـلِ طَـرْقِ نِعَـالِ
فَيَقُـولُ طَـقْ، فَتَقُـولُ قَـطْ فَتَعَارَضَـا ... وَيكُـونُ قَـوْلُ الجَلَـدِ ذَا إعْـمالِ
فأجَـارَكَ الـرَّحمْنُ مِـنْ ضَرْبٍ وَمـنْ ... عَـرْضٍ وَمِـنْ كَـذِبٍ وَسُـوءِ مَقَـالِ
هـذَا وَنِـسْبَةُ ذَاكَ أَجْمَعِـهِ إلى ... دِيـنِ الرَّسـولِ وَذَا مِـنَ الأَهْـوَالِ

حَاشَا رَسُولَ الله يَحْكُمُ بالهوَى ... والجَهْلِ تِلْكَ حُكُومَةُ الضُّلّالِ
وَالله لَوْ عُرِضَتْ عَلَيْهِ كُلُّهَا ... لاجْتَثَّهَا بالنَّقْضِ وَالإبطَالِ
إلا الَتي مِنْهَا يُوافِقُ حُكْمَه ... فَهُوَ الذي يَلقَاهُ بالإقبال
أَحْكَامُه عَدْلٌ وحَقٌّ كُلُّهَا ... في رَحْمَةٍ ومَصالِحٍ وجَلالِ
شَهِدَتْ عُقُولُ الخَلْقِ قاطبةً بِما ... في حُكْمِهِ مِنْ صِحَّةٍ وَكَمالِ
فإذَا أَتَتْ أَحْكَامُهُ أَلْفَيْتَهَا ... وَفْقَ العقولِ تُزِيلُ كُلَّ عِقَالِ
حَتَّى يَقُولَ السَّامِعُونَ لحُكْمِه ... مَا بَعْدَ هذَا الحَقِّ غَيْرُ ضَلالِ
للّهِ أَحْكامُ الرَّسُولِ وَعَدْلُها ... بَيْنَ العِبَادِ وَنُورُهَا المُتَلالي
كَانَتْ بهم في الأرْضِ أعْظَمُ رَحمَةٍ ... والنَّاسُ في سَعْدٍ وَفي إقبَالِ
أَحْكامُهُمْ تجْرِي عَلَى وَجْهِ السَّدَا ... دِ وَحَالهُمْ في ذَاكَ أَحْسَنُ حَالِ
أَمْنًا وعِزًّا في هُدًى وَتَرَاحُمٍ ... وَتَوَاصُلٍ وَمحَبّةٍ وَجلالِ
[٦٧ب] فَتَغَيَّرَتْ أَوْضَاعُهَا حَتَّى غَدَتْ ... مَنْكُورةً مسلُوبَة الأعمالِ
فَتَغَيَّرَتْ أعمالهُمْ وَتَبَدَّلَتْ ... أَحْوَالهُمْ بالنَّقْصِ بَعْدَ كَمَالِ
لَوْ كانَ دِينُ الله فيهِمْ قائمًا ... لَرَأَيْتَهُمْ في أَحْسَنِ الأحْوَالِ
وإذا هُمُ حَكَمُوا بَحُكْمِ جَائرٍ ... حَكَمُوا لمُنْكِرِهِ بِكُلِّ وَبَالِ
قُالوا أَتُنْكِرُ حُكمَ شَرْعِ مُحَمَّدٍ ... حَاشَا لِذا الشّرْعِ الشَّرِيفِ العَالي
عَجَّتْ فُرُوجُ النَّاسِ ثُمَّ حُقُوقُهُم ... لله بِالبُكُرَاتِ والآصَالِ
كَمْ تُسْتَحَلُّ بكل حُكْمٍ بَاطِلٍ ... لا يَرْتَضِيهِ رَبُّنَا المُتَعَالي
والكلُّ في قَعْرِ الجَحِيمِ سِوَى الذي ... يَقْضِي بِدينِ الله لا لِنَوَالِ

أَوَ مَا سَمِعْتَ بأَنّ ثُلْثَيْهِمْ غَدا ... في النَّار في ذَاكَ الزَّمَانِ الخَالي
وَزَمَانُنَا هذَا فَرَبُّكَ عَالِمٌ ... هَلْ فيهِ ذَاكَ الثُّلْثُ أَمْ هُوَ خَالي

يـا بَـاغِيَ الإِحْـسَانِ يَطْلُـبُ رَبَّـهُ ... لِيَفُـوزَ مِنْـهُ بِغَايَـةِ الآمَـالِ
انْظُرْ إلى هـدْيِ الـصَّحَابَةِ وَالـذي ... كـانُوا عَلَيْـهِ في الزَّمَـانِ الخَـالي
واسْـلُكْ طَرِيـقَ القَـوْمِ أَيْـنَ تَيَمَّمُـوا ... خُـذْ يَمْنَـةً مـا الـدَّرْبُ ذَاتَ شِـمَالِ
تَـاللهِ مَـا اخْتَـارُوا لأَنْفُـسِهِمْ سِـوَى ... سُبُلِ الهُـدَى في القَـوْلِ وَالأفعـالِ
دَرَجُـوا عَـلَى نَهْـجِ الرَّسُـولِ وَهَدْيِـه ... وَبِـهِ اقْتَـدَوْا في سَـائِرِ الأحـوالِ
نِعْـمَ الرَّفِيـقُ لِطَالِـبٍ يَبْغِـي الهُـدى ... فمآلُـهُ في الحَـشْرِ خَـيْرُ مـآلِ
القَـانِتِينَ المُخْبِتِـينَ لِـرَبهِمْ ... النَّـاطِقِينَ بأَصْـدَقِ الأقـوَالِ
التَّـارِكِينَ لكـل فِعْـلٍ سـيِّءٍ ... وَالعَـامِلينَ بأَحْـسَنِ الأعـمَالِ
أَهـوَاؤُهُمْ تَبَـعٌ لِـدينِ نَبِـيِّهِمْ ... وَسِـوَاهُمُ بِالـضِّدِّ في ذِي الحـالِ
مَـا شَـابَهُمْ في دِيـنِهِمْ نَقْـصٌ وَلا ... في قَوْلِهِمْ شَطْحُ الجَهُولِ الْغالي
عَمِلُـوا بـمَا عَلِمُـوا وَلم يَتكَلَّفُـوا ... فَلِـذَاكَ مَـا شَـابُوا الهُـدَى بِـضَلالِ
وَسـوَاهم بالـضدِّ حتَّـى إنّهـم ... تَرَكُوا الهُدَى وَدَعَوْا إلى الإضْلالِ
فَهُـمُ الأدِلَّـةُ لِلْحَيـارَى مَـنْ يَـسِرْ ... بهُـدَاهُمُ لَمْ يَخْـشَ مِـنْ إضْـلالِ
وَهُـمُ النُّجُـومُ هِدَايَـةً وإضـاءَةً ... وعُلـوَّ مَنْزِلـةٍ وبُعْـدَ مَنـالِ
يَمْشُونَ بَـيْنَ النَّـاسِ هَوْنًـا نُطْقُهـمْ ... بـالحقِّ لا بجَهَالَـةِ الجُهَّـالِ
حِلـمًا وَعِلْـمًا مَـعْ تُقًـى وَتَوَاضُـعٍ ... ونَـصِيحَةٍ مَـعَ رُتبـةِ الإفـضَالِ
يُـحْيُونَ لَـيْلَهُمُ بِطَاعَـةِ رَبهِـمْ ... بِـتِلاوَةٍ وَتَـضَرُّعٍ وَسُـؤَالِ
وعُيُـونُهُمْ تجْـرِي بِفَـيْضِ دُمُـوعِهِمْ ... مِثْـلَ انهِـمَالِ الوَابـلِ الهَطَّـالِ
في اللَّيْـلِ رُهبَـانٌ وَعِنْـدَ جِهَـادِهِمْ ... لِعَـدُوهِمْ مِـنْ أَشْـجَعِ الأبطـالِ
[٦٨أ] وَإِذَا بَـدَا عَلَـمُ الرِّهَـانِ رأَيتَهُمْ ... يَتَـسَابَقُونَ بِـصَالِحِ الأعـمالِ
بِوُجُـوهِهِمْ أَثَـرُ الـسُّجُودِ لِـرَبهِمْ ... وَبِهَـا أَشِـعَّةُ نُـورِهِ المُـتَلالي

ولَقَدْ أَبَانَ لَكَ الكِتَابُ صِفَاتهِمْ ... في سُورَةِ الفَتْحِ[1] المبِينِ العَالِي

وَبِرَابِعِ السبعِ[2] الطوَالِ صِفَاتهُم ... قَوْمٌ يُحِبُّهُمُ ذَوُو إِذْلالِ

وَ﴿بَرَاءَةٌ﴾[3] والحَشْرُ[4] فِيهَا وَصْفُهُمْ ... وَبِـ﴿هَلْ أَتَى﴾[5] وَبِسُورَةِ الأنفالِ[6]

---

(١) الآية ٢٩.

(٢) أي سورة المائدة: ٥٤.

(٣) هي سورة التوبة: ٧١.

(٤) الآيات ٨ ـ ١٠.

(٥) هي سورة الإنسان: ٧ ـ ١٠.

(٦) الآيتين ٧٤، ٧٥.